فكاهات

رواية

كيد المتناظرين (١)

رُوي ان واحداً من اكابر رجال البحرية الانكليزية اسمهُ ولكوت استقال من منصبهِ ومال الى السفر فجعل يتنقل من مكان الى آخر حتى بلغ الآستانة فأعجبتهُ الاقامة بها وبعد ان اقام مدةً وُفّق الى منصب رفيع في حكومتها فاختار بقعةً من الارض على شاطئ البسفور بنى فيها قصراً بديعاً وغرس حولهُ حديقةً غنّاء ثم تزوج بفتاةٍ رومية رزقهُ الله منها ابنةً دعاها اميليا ثم توفيت الزوجة فبقي الاب مع ابنتهِ يعتني بتربيتها وكانت سلوتهُ الوحيدة

وكان في انكلترا فتًى من اشرافها يدعى سسل توفي والداهُ وتركا لهُ مبلغاً وافراً من المال وكانت لهُ ابنة عمٍّ اسمها كاترين اشتهرت بجمالها فجعل والدها يسعى في توثيق علائق الوداد بين كاترين وسسل ليزوجها بهِ ويضمن لابنتهِ زوجاً شريفاً ومستقبلاً سعيداً . اما سسل فلم يكن يميل الى كاترين وكان يجتهد في الابتعاد عنها بخلاف ما كانت عليهِ هي فانها مالت بكليتها اليهِ وبالاحرى مالت الى غناهُ واخذت تعلل النفس بالحصول عليهِ وبانها

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

ستمتلك ثروتهُ فتنفق منها عن سعة على ملابسها وحليها وادوات زينتها فكانت لا تكفّ عن متابعة سسل حيثما ذهب وتقف في سبيلهِ اين سار حتى ضاق صدرهُ ولم يجد سبيلاً لاغتنام بعض الراحة منها الا ان يخرج حيناً للسياحة فسافر في ممالك اوروبا وزار عواصمها وبلغ الاستانة فتعرف بولكوت ودعاهُ هذا لقضآء بضعة ايام عندهُ وكان قد اعجبهُ موقع بيتهِ وحديقتهُ الغنآء فلبى الدعوة مسروراً . ولما كان في الليلة الاولى بعد العشآء جلست اميليا الى البيانو وشرعت توقّع الحاناً اخذت بمجامع فؤاد سسل فاقترب من كرسيها وجعل يتأمل في حركاتها ومحاسنها فرأى جمالاً مفرطاً وذاتاً فتانة قد اجتمعت فيها العظمة الانكليزية والرقة الشرقية فافتتن بها وشعر اليها بميلٍ غريب . ولما فرغت من الحانها جلست الى جانبهِ تحادثهُ في امور شتى فالفى هناك فصاحةً وقوة تعبير وذكآء وكانت تعتذر اليهِ من آن الى آخر انها وان تكن ابنة رجل انكليزي فهي تخاف ان تكون قد قصرت في الواجبات التي تُطلب من السيدة الانكليزية نحو ضيفها لانها لم تزر انكلترا بعد ولم تدرس قوانين جمعياتها . فلم يكن كلامها الا ليزيد سسل افتتاناً بمحاسنها ويقوّي نبض الحب في قلبهِ . وقضى هنالك بضعة ايام كانت لهُ من خُلس الدهر وكان يتمنى لو يقضي مدةً طويلة ولكن اعترضهُ لزوم السفر . فلما كان مسآء اليوم الذي نوى السفر في صباح غدهِ نزل واياها الى الحديقة يجولان بين رياحينها وازهارها وبينما هما يتمشيان قال سسل انكِ ولا شك سعيدة في هذه الجنة البديعة . فتنهدت اميليا وقالت اني اكون اعظم سعادةً لو كنت انكليزية . قال ولكنكِ انكليزية الآن . قالت نعم ولكني اشتهي لو اكون في

نفس انكلترا اعاشر اهلها وادرس كل جديد في عوائدها . ورأى سسل تلك الفرصة موافقة للاعتراف لها بحبهِ فقال اذا كان كذلك فاني اقف قلبي ويميني لابلّغكِ هذه الامنية فهل ترومين الحصول عليها بواسطتي . فلم تبدِ اميليا جواباً بل اطرقت برأسها الى الارض وكان الغسق قد خيم فلم يتمكن سسل من مشاهدة احمرار وجنتيها وبريق عينيها لكنهُ شعر بميلها الشديد اليهِ . وبينما هما كذلك سمعا صوت ولكوت يناديهما في الحديقة فامسكا عن الحديث حتى وافاهما واجتمع بهما فتحادثوا حيناً ثم صعدوا جميعاً الى القصر ولم يعد يتيسر لهما التكلم بشيء آخر في تلك الليلة . وفي الصباح قام سسل مودعاً وشاكراً ولما ودعتهُ اميليا القت في يدهِ شيئاً . وكان سسل يسير وهو شاعر بان قلبهُ باقٍ هناك لكنهُ تجلد الى ان يرى ما يجيء بهِ المستقبل . وكان الذي القتهُ اميليا في يد سسل قلباً من ذهب قد نُقش عليهِ كلمة لا تنسني فاخذ سسل يقبّل هذا الاثر ثم علقهُ الى سلسلة ساعتهِ

ولما عاد سسل الى انكلترا لم يقر لهُ قرار وقد شغلت افكارهُ اميليا فلم يعد يسر بشيء من كل ملذات لندن بل يفكر في ما عساهُ ان يفعل ومتى يعود الى اميليا . ولما جاءهُ عمهُ مسلماً عزم ان يخبرهُ بما طرأ عليهِ فقال لا اكتمك يا عماه ... فقاطعهُ عمهُ قائلاً ان كتمت او لا فانا عالم بمحبتك لكاترين وان احدكما لا يكون سعيداً بدون الآخر فسأجتهد ان اعجل في قرانكما . قال سسل ولكن احب ان اخبرك ان ... قال كفى كفى لا لزوم لاطالة الحديث فالامر معلوم وفي ظني ان كاترين ستزورك بعد قليل . ثم ودعهُ وخرج بمزيد السرعة ولم يترك لسسل فرصةً لتوضيح افكارهِ

ولما كان المسآء ذهب سسل الى نادٍ ليسرّي ما بهِ من القلق فاجتمعت عليهِ اصدقآؤهُ يهنئونهُ بايابهِ ثم قال احدهم وانا اهنئك بقرب قرانك واسأل الله ان يكون قراناً سعيداً . فاجفل سسل وقال ماذا تقول . قال عجباً افيكون ما قرأتهُ اليوم في احدى الجرائد مختلقاً . وللحال تناول جريدة بجانبهِ وقرأ فيها ما يأتي

« قد عاد المستر سسل من سياحتهِ وسيُحتفل عن قريب بعقد قرانهِ على ابنة عمهِ كاترين والاستعداد لذلك قائمٌ منذ الآن »

فبهت سسل وخطر لهُ ان يكذّب الاشاعة في الحال ولكنهُ خشي ان يعقب ذلك كلام يشين شرفهُ او شرف عمهِ فامسك وبعد قليل خرج من النادي وتوجه الى قصرهِ حزيناً آئساً وتناقلت الجرائد الخبر فجعلتهُ حقيقةً وكبر الامر على سسل ولم يعلم بأي وجهٍ يمكنهُ التكذيب وانتهى اخيراً بان قال ارى القضآء يدفعني جبراً الى الاقتران بكاترين ويبعد عني المَلَك الذي احبتهُ نفسي فلعل ذلك لحكمةٍ الهية اجهلها الآن . وتجسم عندهُ هذا الفكر حتى صمم على نسيان اميليا واجتهد ان يبتعد عن كل ما يقرّب اليهِ تلك الذكرى لكنهُ لم يستطع ان ينزع القلب الذهبي المعلق بساعتهِ فابقاهُ وسلم نفسهُ للقدر المتاح منتظراً ما عساهُ ان يقضي بهِ في امر ابنة عمهِ الا انهُ لم يكن يهتم بها ولا يزورها الا اذا دعاهُ والدها الى تناول طعام او قضآء سهرة

وكانت كاترين على اعظم مبلغ من الذكآء والجمال وكان الشبان يترامون على اقدامها ولكنها لم تكن تميل الى احدٍ منهم ولما رأت عدم مبالاة سسل بها احرقتها نيران الغيرة وقد علمت بكل ما كان منهُ في رحلتهِ الى الآستانة

فظنت انها ربما امالتهُ اليها اذا سمحت لمريديها ان يوالوا زياراتهم لها غير انهُ لم يكن ذلك ليؤثر في سسل وكان لا يرى نفسهُ الاَّ مشرَّد الافكار تائه البال . وكان من المولعين بكاترين شابٌّ تركي من السفارة العثمانية في لندن اسمهُ يوسف بك فسمحت لهُ كاترين بالتردد عليها لتغيظ سسل ولامورٍ اخرى مطوية بينهما . وفي ذات يوم بينما كان سسل سائراً في طريقهِ اذا برجلٍ فقير الحال قد عارضهُ في طريقهِ طالباً صدقة فمد سسل يدهُ الى جيبهِ لينقدهُ شيئاً وللحال اختطف السائل القلب الذهبي من ساعة سسل وفرّ هارباً . فتبعهُ سسل مسرعاً وما زال يعدو في اثرهِ الى ان فاتهُ فاضطرّ الى الرجوع وقد بلغ منهُ الغضب والتعب فاعلم بالامر الشرط وعاد الى بيتهِ مغموماً . وكان مدعوًّا لتناول طعام المسآء عند عمهِ فصبر ريثما استراح قليلاً ثم توجه الى هناك ودخل بدون ان يعلم بهِ احد الى غرفة الاستقبال فوجد كاترين ابنة عمهِ وامامها يوسف بك يناولها شيئاً لمعت منهُ لمعةُ ذهبية وسمعهُ يقول لها ها قد اتممت الشرط الاول والثاني سأتممهُ عن قريب . ولما رأيا سسل امتقع لونهما وذهب كلٌّ الى ناحية . اما سسل فحدثتهُ نفسهُ ان يتهم ابنة عمهِ ورفيقها وقال لعل هذا الخبيث هو الذي سلب مني القلب ليحضرهُ اليها لانني اعلم ان كاترين لا تميل الى مرأى هذا التذكار . ثم خطر لهُ ان يتقدم الى كاترين ويطلب منها ان تريهُ الحلية الذهبية التي دفعها اليها يوسف بك ولكنهُ خشي ان يكون في ذلك ما لا تحسن عاقبتهُ فصمت وقضى بقية وقتهِ في محادثة كاترين . ورأت كاترين منهُ ميلاً اليها فهمَّت ان تطلعهُ على حقيقة مؤامرتها مع يوسف بك وتردّ اليهِ القلب

الذهبي وتطلعهُ على شرٍّ اعظم كانت قد دبَّرتهُ وتسألهُ الصفح ولكنها ما لبثت ان تغلَّب عليها روح الشرّ فصمتت عن كل ذلك

وفي اليوم الثاني سافر يوسف بك برخصةٍ الى الآستانة لمهمّاتٍ خصوصية وكان سسل يتناسى شيئاً فشيئاً شاطئ البسفور وساكنيهِ وقد رأى ان لا مناص لهُ من الاقتران بكاترين ومرَّت عليهِ بضعة ايام وهو في مزيد القلق والحيرة الى ان كان ذات يوم جالساً في النادي وقد اخذ جريدةً يسرّح نظرهُ فيها فوقع بصرهُ على عبارة فهم منها « ان اللص الشركسي الشهير اسماعيل قد نزل بعصابتهِ على بيت ولكوت فاختطف ولكوت وابنتهُ اميليا الى البراري التي يأوي اليها وانهُ لا يسلم الرجل وابنتهُ الاّ بفدية قدرها ستة الآف جناي » فما اتم قرآءة هذا الخبر حتى قدحت عيناهُ شراراً ثم وقف وقال هل يكون لي مال وعندي قوة وتهلك اميليا . كلاّ ثم كلاّ . وللحال اسرع الى السلك البرقي فطيَّر ثلاث رسائل الاولى الى سفير انكلترا في الاستانة يقول لهُ ان الفدية المطلوبة لاخلآء سبيل ولكوت وابنتهِ ستصل قريباً فيجب اعلام اللصوص بذلك . والرسالة الثانية الى صرَّافهِ الخصوصي يأمرهُ ان يرسل مبلغ ثمانية آلاف جناي لامرهِ في بنك الآستانة . اما الرسالة الثالثة فكانت الى عمهِ يخبرهُ انهُ سيتغيب فجأةً لاسبابٍ عظيمة الاهمية ووجهتهُ الاستانة . وكانت كاترين في غرفة الاستقبال تقرأ في الجريدة خبر اختطاف ولكوت وابنتهِ وهي تقول في نفسها قبحك الله يا يوسف فقد وعدتني انك لا تصل الى هذا الفعل الاّ بعد نفاد كل الوسائل الاخرى فيالك من قاتل . واذ ذاك دخل عليها والدها وبيدهِ رسالة سسل فادركت للحال انهُ سافر لهذا السبب ثم تمثلت لها ردآءتها

وما اتفقت عليهِ مع يوسف للاقتصاص من تلك الفتاة البريئة وتجسمت امامها شرورها فخافت وسقطت الى الارض امام والدها وهي تصيح تبًّا لي من شقيَّة تبًّا لي من مجرمة شريرة ثم اغمي عليها . ولم يدرِ والدها شيئاً من ذلك سوى انهُ امر بنقلها الى سريرها وتنشيقها الادوية المنعشة فأفاقت ثم طلبت ان تُترَك لنفسها ونامت

اما سسل فما زال يصل السير بالسرى الى ان بلغ الآستانة وتوجه توًّا الى بيت السفير ولم يألُ سعياً في السؤال عن الذرائع التي يجب اتخاذها لخلاص اميليا ووالدها وبعد مراجعة زعيم اللصوص ارسل السفير بعضاً من رجالهِ لملاقاة اسماعيل وجماعتهِ في المكان المعين لتسليمهِ النقود والاستيلاء على ولكوت وابنتهِ . وكانت اماليا جالسة بالقرب من والدها وهما مكبلان بالقيود الحديدية فقال الوالد لا أمل لنا في النجاة مادام المبلغ المطلوب للفدية باهظاً بهذا المقدار . فقالت اميليا كيف ذلك أَوَلا تقدّر استطاعتك يا أبي باضعاف هذا المبلغ . قال بلى ولكن من لنا بانسان يهمهُ امرنا ليسعى في جمع المال . قالت لا يحتاج الامر الى جمع مال وانا واثقة بانهُ متى بلغ خبرنا الى سسل لا يتأخر عن دفع المبلغ والسعي في الافراج عنا وان يكن قد قطع حبل آمالي بكتابهِ الاخير . ولما قالت ذلك اجهشت بالبكاء فبكى والدها ايضاً وبينما هما كذلك وافاهما زعيم الاشقياء وقال هلمّ بنا نسلمكما الى السفير فقد اخبرنا ان فديتكما قد وُجد من يؤديها . قالت اميليا وهل عرفت اسم هذا المحسن . قال لا ولكنهُ انكليزي قدم من انكلترا لهذه الغاية . ثم سار الزعيم اسماعيل برجالهِ والاسيرين الى المحل المعهود ولما قربوا منهُ قدم نفرٌ من ناحية السفير

باكياس المـال وتوجه نفرٌ من رجال الزعيم يقودون الاب وابنتهُ وهكذا تبودلت الامانات وسار كلٌّ في طريقهِ . ولكن لم يبتعد الزعيم برجالهِ كثيراً حتى عاد واغار فاختطف اميليا من يدي والدها واركبها امامهُ على جوادهِ وانطلق وانما فعل ذلك طمعاً في فدية اخرى لما رأى ان الفدية الاولى قد دُفعت بسهولة . وكان سسل خبيراً بغدر اولئك اللصوص وقد خطر لهُ من قبلُ امكان حدوث مثل هذه الفعلة فاستدعى عدداً غفيراً من اصحابهِ الانكليز وذهبوا بخيولهم الى الصيد فقادهم عن بعد الى المحل الذي تعين فيهِ فك الاسيرين وجعل يراقب ما يجري ولما رأى اختطاف الزعيم لاميليا بعد ان اخذ الفدية صاح باصحابهِ فهجموا بسيوفهم ولم يكن الاَّ كلمح البصر حتى اغار سسل على الزعيم اسماعيل وبادرهُ بطعنة قاضية واستخلص اميليا وفرّ اللصوص بعد ان قُتل اناس منهم وجُرح آخرون وعاد اصحاب سسل باكياس المال وقد استرجعوها من اللصوص . وكانت اميليا غائبة عن الرشد فلما افاقت وجدت نفسها في البيت والى جانبها والدها وسسل فاقبل كلاهما يشكران سسل على همتهِ وفضلهِ في تخليصهما . ورأى سسل في جمال اميليا وسحر عينيها ما ذكرهُ ايامهُ الاولى وخاف ان هو تأخر هناك ان تعاودهُ افكارهُ السابقة ويعرّض نفسهُ لكلام القادحين اذا خان ابنة عمهِ كاترين فصمم على مغادرة المكان في الحال واجتهد الوالد والابنة في اقناعهِ بالبقآء اياماً فأبى . ولما قام مودعاً لمح في عنق اميليا سلسلة ذهبية وقد علّق بها القلب الذهبي الذي اهدتهُ لهُ سابقاً وسُلب منهُ في انكلترا فلمَّا رآهُ صاح كيف وصل اليكِ هذا القلب . قالت قد وصلني مع رسالتك على يد يوسف بك فهل نسيت ذلك . فعلا الدم وجه سسل

وقال وايُّ رسالةٍ هذه ارينيها الآن ففي الامر خيانة . فلما اطلعتهُ عليها عرف للحال كتابة ابنة عمه كاترين وكُشفت لباصريهِ الحيلة ورأى من دناءة كاترين في كتابتها ما استطار رشدهُ فاخبر اميليا بجلية الخبر واعلمها انهُ لم يمل الى سواها وانهُ يشكر العناية على ما دبرت ليعود اليها ولا يقع في شرك تلك الخبيثة ثم عدل عن السفر ووعدهم بالاقامة اياماً

اما يوسف بك فرجع بعد اكمال مسعاهُ الى انكلترا ودخل توًّا الى غرفة كاترين فرآها جالسة الى سريرها فقال قد اتممت مهمتي فهل تعدني بيدك . قالت معاذ الله ان اقترن بمثلك وهل بلغ من سخافة عقلك انني اقبل بذلك وادخل بيتك واقيم مع نسائك كلاّ لن يكون ذلك وان كنت قد استخدمتك لاغراضي فانا ارفع من اقرن يدي بيدك . وبلغ الغيظ من يوسف بك مبلغاً عظيماً فاخرج من جيبهِ زجاجة صغيرة وصب منها على منديلهِ ثم هجم على كاترين ووضع المنديل على انفها ولم يرفع يدهُ حتى فارقت الحياة ولما تيقن ذلك خرج الى حيث لا يدرك لهُ اثر

واما سسل فلم يبطئ بعد ذلك ان عُقد لهُ على اميليا ولبث مقيماً في بيت حميهِ الى ان وصلتهُ رسالة من عمهِ يستدعيهِ سريعاً فذهب تصحبهُ زوجتهُ اميليا ووالدها فرأى عمهُ على فراش الموت وكان قد علم بموت كاترين فقصَّ عليهِ عمهُ خبر موتها واطلعهُ على كل ما حدث في مدة غيابهِ ثم اوصى لهُ بمالهِ . وبعد ان توفي استولى سسل على اموال عمهِ وعقاراتهِ وعاش مع بيت حميهِ بسلام الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات